

## صور من التسامح في الخطاب النبوي: دراسة أدبية تحليلية

إعداد:

الدكتور ناصر أحمد صكتو والدكتور نور عتيق بلاري  
قسم اللغة العربية، جامعة عمان بن فودي صكتو - نيجيريا

### الملخص

يتصدى هذا البحث لدراسة أحاديث مختارة من السنة النبوية المطهرة، التي تتمحور حول التسامح. تلك الظاهرة التي يعتبرها الناس اليوم ظاهرة جديدة سبق الغرب الإسلام إليها. والدراسة التي يقوم بها الباحثان تتمثل في عرض تلك النصوص وتحليلها ليظهر بذلك فكرة التسامح والعفو والإغضاء بصوة واضحة تمثل الإسلام الصحيح. ثم ينطلق البحث إلى دراسة النصوص دراسة أدبية تحليلية ليوضح القيمة الفنية التي تكمن في تلك النصوص من أسلوب وعاطفة وخيال وغير ذلك من الظواهر الفنية التي تكمن في تلك النصوص الشريفة، مما يبرهن على أن الإسلام مهد جذور السلم والتسامح ودعا إليها منذ بزوغ فجره، وذلك باستخدام أساليب راقية وفنون خلاقة ممنعة التي من شأنها أن تحبب التسامح إلى قلوب الناس أجمعين.

الكلمات المفتاحية: صور من التسامح في الخطاب النبوي: دراسة أدبية تحليلية

### المقدمة

يعتبر التسامح من المصطلحات الحديثة التي تستخدم في السياقات الاجتماعية والثقافية والدينية لوصف مواقف واتجاهيات تتسم بالتسامح والعفو والصفح واحترام الآخرين. تهدف المقالة إلى إلقاء ضوء حول تأصيل الثقافة الإسلامية من الخطاب النبوي الذي يتجه بدعوته إلى البشرية كلها مدعماً أسس العدل، ومنهياً عن الظلم والجور، وداعياً إلى التعايش السلمي بين

أفراد المجتمع الإسلامي في جو من الإخاء والتسامح بين جميع المسلمين بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم.

سيتجلى في المقالة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بالقضايا الاجتماعية الحساسة حيث وضع المنهج السليم للحياة الإنسانية الذي يهدف إلى توطيد الأمن والسلام في الحالة السياسية. وسيظهر في المقالة أيضا الإبداع النبوي المتمثل في التعبير الفني الجميل المؤثر الجذاب الذي يجمع بين شرف المعنى وروعة البيان. سيختار الباحثان خمسة من النصوص النبوية ويتبعان دلالتها المعنوية وجمالها الفني وستدور محاور المقالة حول النقاط التالية:

- المقدمة
- مفهوم التسامح
- عرض الأحاديث المختارة في معنى التسامح
- دراسة أدبية للنصوص المختارة
- الخاتمة

#### مفهوم التسامح

التسامح لغة من مادة "سمح يسمح" أي جاد وأعطى، أو وافق على ما أريد منه. ويعني في الاشتقاق التساهل<sup>(١)</sup> وتسامح في كذا أي تساهل، ومنه بيع السماح وهو البيع بأقل من الثمن المناسب<sup>(٢)</sup>

وأما التسامح في مفهومه الاصطلاحي فيعني: "العفو عند المقدرة وعدم ردّ الإساءة بالإساءة والترفع عن الصغائر والسمو بالنفس البشرية إلى مرتبة أخلاقية عالية"<sup>(٣)</sup> والتسامح بهذا المفهوم مرتبط بهدي النبي صلى الله عليه وسلم الملموس في أقواله وأفعاله. أو يراد بالتسامح: "نسيان الماضي المؤلم بكامل إرادة الإنسان"<sup>(٤)</sup> أو هو "التخلي عن رغبة الإنسان في إيذاء الآخرين لأي سبب قد حدث في الماضي"<sup>(٥)</sup>

وقد يطلق التسامح ويراد به الشعور بالرحمة والتعاطف والحنان<sup>(٦)</sup> ومن هذه التعاريف يدرك أن التسامح هو أن تفتح قلبك وألا يكون هناك شعور بالغضب ولا لوجود المشاعر السلبية لأي شخص.

من هذا المنطلق يدرك القارئ أن التسامح كما وصفه هلال بن العلاء الرقي قائلاً في بيت له:  
لما عفوت ولم أحقد على أحد  
أرحت نفسي من هم العداوات<sup>(٧)</sup>  
وهومائل لما ذهب إليه أمير الشعراء في العصر الحديث أحمد شوقي عندما يعبر عن عاطفته نحو التسامح قائلاً:

تسامح النفس معنى من مروءتها	بل المروءة في أسى معانها
تخلق الصفح تسعد في الحياة به	فالنفس يسعد بها خلق وبشتمها <sup>(٨)</sup>
وقال شاعر في معنى التسامح:	
وكنت إذا الصديق أراد غيظي	وأشرفني على حنق بريقي
عفوت ذنوبه وصفحته عنه	مخافة أن أعيش بلا صديق <sup>(٩)</sup>

هذا، ويمكن أن يقال إن التسامح هو أن ترى نور الله في كل من حولك مهما يكن سلوكهم معك.

#### عرض الأحاديث المختارة في معنى التسامح

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أصيب بدم أو خبل -والخبل: الجرح- فهو بالخيار بين إحدى ثلاث؛ فإن أراد الرابعة فخذوا على يديه: أن يقتل أو يعفو أو يأخذ الدية، فمن فعل شيئاً من ذلك فعاد فله نار جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً"<sup>(١٠)</sup>

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألا أدلكم على خير أخلاق أهل الدنيا والآخرة؟ من عفا عن ظلمه وأعطى من حرمه ووصل من قطعه، ومن أحب أن ينسأ له في عمره ويزاد له في ماله فليقت الله ربه وليصل رحمه"<sup>(١١)</sup>

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من عفا عند قدرة؛ عفا الله عنه يوم العسرة"<sup>(١٢)</sup>

وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الله يحب سمح البيع، سمح الشراء، سمح القضاء"<sup>(١٣)</sup>

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما من شيء إلا والله يحب أن يعفى عنه ما لم يكن حدًا عن عباده"<sup>(١٥)</sup>

#### دراسة أدبية للنصوص المختارة

تمثل هذه الطائفة من الأحاديث النبوية الشريفة أوضح ظاهرة لبناء الإنسان للمجتمع الإسلامي على أساس متين، أساس العفو والتسامح، أساس كظم الغيظ والعطف والحنان، مما يساعد المجتمع على تحقيق التعايش السلمي وتبادل الاحترام بين أفراد المجتمع. وهذا هو المتوقع صدوره من مشكاة النبوة، ذلك لأنها هي الواسطة بين الله سبحانه وتعالى الخالق والكائن البشري المخلوق، فيرسم بهذا لهم خططًا يتبعها يتعودون على العفو والتسامح فيما بينهم فيعيشوا في أمن وأمان وسلام.

وقد رسم عليه الصلاة والسلام تلك الخطط في غاية الروعة التعبيرية وأجمل الصور البيانية بأساليب متنوعة حتى ترسخ في ذهن بني البشر وتصير لهم سجية بل عقيدة يعتقدونها، تشتاق النفوس إلى تطبيقها لما تتمتع به من الجمال والروعة التعبيرية. كما يلمس في هذه النصوص الجمال الفني في روعة العرض وسموّ التصوير، وكما يتسم أسلوبها بالوضوح مفردات وتراكيب، فلا يوجد فيها غرابة ولا تكلف إذ كان بصدد التعليم وتوجيه الخطاب لتربية المجتمع إسلامياً، ووضع أسس ودعائم تبنى عليها سياسة الحياة.

من الصور الجيدة في النصوص الكناية وهي: لفظ أريد به لازمة معناه مع جواز إيراد معناه حينئذ"<sup>(١٥)</sup> وتعتمد الكناية في حيويتها على الإيجاء والتلميح والرميز والإشارة"<sup>(١٦)</sup> وقد استخدمها

في أروع صورها وفي المكان الملائم، وذلك في قوله: "من أصيب بدم أو خيل" ففي هذا كناية عن قتل أخ الإنسان أو أحد أقاربه، فلما كان القتل عزيزا على النفوس وهو من الأمور المنكرة تجاوز في الحديث إيراد لفظة "القتل" فذكر لازمة من لوازمها وهي وقوع المصيبة على التلميح، إذ الدم في اللغة يكتى به عن القتل لأن إراقته تكلف الحياة. فيدرك بهذا الرجل المصاب أن القتل منكر قولا وفعلا حتى أن الرسول عليه الصلاة والسلام لم يصرح به بل كنى عنه لبشعة لفظته وقبح فعلته، فربما بهذا يتجاوز المصاب ويلجأ إلى العفو والتسامح أو الدية. انظر كيف يغري النص الإنسان إلى العفو والتسامح. فلو كان القتل هو الهدف لذكره في الحديث بصورة غليظة تبعث الغضب في نفس المصاب. وليثبت للمصاب أن عفو خير من الدية والقصاص أردف قوله: "فمن فعل شيئا بعد ذلك فله نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا" ليشير له بذلك إلى أنه لو قتل القاتل فمقتوله لن يعود حيا أبدا، ولو أخذ الدية لن تكون عنده بمنزلة أخيه لأن المال يفتى، وربما يتكلم عن الأمر بعد ذلك بسوء فيبوء بالنار والخسران، ولهذا وردت لفظة "شيئا" في الحديث نكرة لتدل على أنه مهما قلّ ما صدر منه بعد القتل أو الدية أو العفو فله نار جهنم، ولكن له الحق في استلام الدية ما دام أن الإسلام سمح له بذلك أما الذي عفا وسمح فأجره على الله، وقد باء القاتل بإثمه وإثم المقتول. فهذا يتم التسامح والعفو بين المصيب والمصاب بدون إجبار أو تكليف.

ومن الصور الجيدة في النصوص المقابلة، وهي أن يؤتى بمعنيين متواقفين أو معان متواقفة ثم بما يقابلها على الترتيب<sup>(١٧)</sup> وذلك عندما قال: "إن الله يحب سمح البيع سمح الشراء سمح القضاء" يعرض النص المقابلة بين موقفين موقف البائع وموقف المشتري، فحث كل جانب على السماح عند العقد، فلو أمر جانبا دون آخر لفقد التوازن ولكنه أمر كلا الجانبين. وقد تقابل بين البائع والمشتري ليحس كل منهما بأنه إنسان ويحتاج أخوه منه ما يحتاجه هو منه، والإسلام لم يطالبه وحده بالسماح فيشعر بالظلم بل طالب معه أخاه في ذلك، وبذلك يشعر كل منهما بالراحة النفسية ويسمح لأخيه عن رغبته مشعرا العز والارتياح. هكذا اهتم الرسول عليه الصلاة والسلام بهذا الجانب ورسم له خطة تقود إلى العفو والتسامح.

ومن جيد التعبير في النصوص وقوع الطباق في أرق سماته، ويعني عند أهل الفن "كل كلام جمع فيه بين الضدين"<sup>(١٨)</sup> وعلى ذلك فالطباق هو "الجمع بين الضدين كالليل والنهار والبياض والسواد"<sup>(١٩)</sup> وذلك في مثل قوله: "من عفا عن ظلمه، وأعطى من حرمه، ووصل من قطعه" جمع في النص بين المعاني المتضادة لأن قيمة الأشياء تزداد ظهورا بذكر أضدادها. وجمع بين العفو والظلم، وأعطى وحرم، وبين وصل وقطع. ذلك لأنه يريد من السامع أن يحضر ذهنه لأن المواقف صعبة جدا على الإنسان، فالعفو عن المسيء مثلا يعظمه الإنسان لأن نفسه طبيعيا تميل إلى الانتقام لمن أساء إليه فما بالك بمن ظلمه. كما أن نفسه أيضا تحب جمع المال ولا تحب الإعطاء "وإنه لحب الخير لشديد" (سورة العاديات: ٨) فأخراج الزكاة وصدقات التطوع عزيزة على النفوس فما ظنك في أن يعطي الإنسان من حرمه شيئا، وهكذا إيصال الرحم عزيز على النفس لما في ذلك من الأجر الكثير حتى أن الأحاديث كثرت في ذلك، فإن كان إيصال الرحم مع الذي أوصلك صعب فكيف بالذي قطعك. فليحرك الرسول عليه السلام هذا الشعور الإنساني ويجذب لبه وانتباهه إلى العفو والتسامح جاء بالصورة وأضدادها حتى لا يظن الإنسان أن العفو مطلوب منه في الإساءة القليلة دون الظلم الكبير. ولا يظن أن الإعطاء يكون لمن أعطاه أو الذي لم يحرمه بل يكون أكثر أجرا وثوابا في الذي حرمه. ولا يعتقد أن إيصال الرحم يكون في الذي أوصله دون من قطعه، وكل هذه لا تتم إلا بالعفو والتسامح والتفاهم تمسكا بقوله تعالى: "خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين" (سورة الأعراف: ١٩٩)

وكما نلمس ظاهرة الطباق أيضا في قوله: "ألا أدلكم على خير أهل الدنيا والآخرة" فقد طابق بين لفظتي الدنيا والآخرة جذبا لعقل السامع، إذ لو ذكر الدنيا فقط فالذي يحب الآخرة لاهتم بالأمر، وهكذا العكس، أما لما ذكر كليهما فمن المتوقع أن يهتم كل الناس لما يأتي، ومن العجب العجيب أن هذا ليس شيئا سوى العفو والتسامح والصفح واحترام الآخرين.

ومن الصور الجيدة الواردة في النصوص الجناس، وهو "أن تتفق اللفظتان في وجه من الوجوه ويختلف معناهما"<sup>(٢٠)</sup> في قوله: "فله نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا" في النص جناس الإشتقاق

عن طريق اسم الفاعل والمفعول (خالدا/مخلدا)، وقد عمل هذا الجنس في إعطاء قيمة جمالية للقارئ خلال استخدامه اللفظتين، فيتحول بذلك العذاب إلى عذابين: عذاب النار، وغضب الرحمان، فلو أنه يخلد في النار باختياره لكان الأمر أهون عليه ولما شعر بالإهانة والاختناق، أما لما كان الخاسر مخلداً في النار مجبراً كان ذلك نوعاً آخر من العذاب والإهانة مما يلقي بظلاله على الشقاء الخالد والشعور بالألم والفشل في خلوده في عذاب جهنم وغضب المولى سبحانه وتعالى، وفي ذلك نوع من الترهيب عن الوقوع في هذه المصيبة الخالدة المؤبدة والترغيب في التسامح بأخذ الدية أو بالعفو التام.

وتارة يستخدم في ترتيب الأفعال نظاماً رائعاً يغري إلى التمسك بالعفو والتسامح، وهو مما حبذه الباحثان في الجمال التعبيري من النصوص ومما صادفه قوله: "من عفا عن ظلمه وأعطى من حرمه ووصل من قطعه ومن أحب أن ينسأ له في عمره ويزاد له في رزقه فليتيق الله ربه وليصل رحمه" فقد استخدم الأفعال الماضية (أعطى، عفا، وصل، أحب) ليبدل على طلب رسوخ هذه الصفة في نفس صاحبها وأن يفعلها بدون مقابل لأنه كما صح: "إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"<sup>(٣٣)</sup> فلماذا؛ الذي يفعلها لأنه أجبر عليها أو لغرض دينوي كمقابل لما يقوم به لا يدخل في ذلك. ثم اختتم الجمل بالأفعال المضارعة (ينسأ، يزداد، يتق، يصل) إحياء باستمرار الأمر وتجده مع كل كرة أخرى، ومن حيث تقواه وإخلاصه، أي كلما عفا وسامح نال ذلك الأجر والثواب وبسطة في العمر والرزق.

١- ومن حسن اختيار الأفعال الملائمة قوله: "من عفا عند قدرة عفا الله عنه يوم القيامة" استخدم صيغة الماضي (عفا) دون المضارع (يعفو) في الشرط والجزاء ليبدل على أن المشروط منوط بتمام الشرط، فبمجرد أن عفا الإنسان عن أخيه عفا الله عنه، فمن يريد عفو الله تعالى على الدوام فليلازم العفو والتسامح لإخوانه. لكنه خص هنا العفو بكونه مع القدرة وهو من المواقف الصعبة، فغالبا ما يكون عفو الإنسان عندما لم يجد قدرة على الأخذ، ولما كان المسلم دائما يرجوا عفو ربه بادر إلى اقتترانه بمقابلة أخيه

بالعفو والتسامح والصفح وهذا هو الغرض والهدف. وهذا معنى قوله تعالى: "وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم" (سورة النور: ٢٢)

ومن جيد التراكيب استخدامه الجملة الفعلية، أي "الجملة التي يتصدرها فعل تام أو ناقص"<sup>(٢٥)</sup> عندما يريد أن يفيد التجدد والاستمرار، وذلك مثل قوله: "ألا أدلكم على خير أخلاق أهل الدنيا من عفا عن ظلمه وأعطى من حرمه ووصل من قطعه ومن أحب أن ينسأ له في عمره ويزاد له في رزقه فليتق الله ربه وليصل رحمه" في النص سلسلة من الجمل الفعلية تفيد التجدد والاستمرار على صفة من الصفات، فقوله: "ألا أدلكم على خير أخلاق أهل الدنيا والآخرة" أورد فيه الجملة بعد حرف التنبيه "ألا" لفتًا لانتباه الناس لأهمية ما يدعوهم إليه، والجملة الفعلية هنا دالة على أنه كثيرا ما يدلهم على الخيرات في الماضي فاغتنموها، كما هو الحال في الحاضر والمستقبل، وبقية الجمل الفعلية في النص توحى بأن تلك الأعمال مطلوبة من الإنسان بالتجدد والاستمرار وليس أن يفعلها مرة واحدة فقط بل كلما تجددت به حال يطلب منه العفو والتسامح والإعطاء ووصل الرحم، ثم في الأخير جاءت جمل فعلية أخرى لتبرهن على أن جزاءه منوط بالتقوى إذ لا يقدر على المقاومة في هذه المواقف الصعبة إلا التقي فكلما زاد من العفو التسامح زاده الله رزقا وطول عمر.

ومما لاحظته الباحثان أيضا استخدامه الجمل الاسمية، وهي "ما يتصدرها اسم صريح أو مؤول في محل رفع أو اسم فعل أو يتصدرها حرف مشبه بالفعل"<sup>(٢٦)</sup> حيث تأتي لتفيد الثبوت والدوام، ومن ذلك قوله: "إن الله يحب سمح البيع" فلغرض تعليم القارئ أن الله تعالى اتصف بهذه الصفة قديما وحديثا وهي صفة ثابتة دائمة له لا تغير ولا تبدل استخدم الجملة الاسمية، وأكد الجملة بحرف التوكيد "إن" ليتبادر الإنسان إلى التمسك بها وذلك لما للعفو والتسامح من أهمية في الدين والدنيا، وكونها مما يحبه الله تعالى يبرهن على أن كل من لازمها أحبه الله. وتخيل! إن كان المسلم يسدي ويلحم في فعل الخيرات ليفلح وليحبه الله تعالى فكيف بالصفة التي ذكر أن الله اتصف بها: يحبها ويحب من قام بها؟؟؟



ويلمس في النصوص أيضا ظاهرة التكرار مما يزيد الكلام رونقا وجمالا، ويقصد بالتكرار أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو التهويل أو الوعيد<sup>(٢٧)</sup> ويعمل صوت الحروف على تشكيل النغمات بما تمتاز به من تقطيع وتنغيم<sup>(٢٨)</sup> لذا يعمل التكرار على إعطاء حيوية للإيقاع من خلال تكرار الوحدات وتناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير<sup>(٢٩)</sup> فتراه في هذه النصوص تارة يكرر الأصوات وتارة يكرر الكلمات لتكون جرسا يجذب الروح إليها فتشكل أسلوبا يأتي بجرس الألفاظ وتناغم العبارات على منوال جذاب داع إلى الاصغاء.

ومن تكراره الأصوات قوله: "من أصيب بدم أو خبل فهو بالخيار بين إحدى ثلاث فإن أراد الرابعة فخذوا على يديه أن يقتل أو يعفو أو يأخذ الدية فمن فعل شيئا من ذلك فعاد فله نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا" فالنص تشكل من تجمع صوتي بحرف الفاء التي كُرت في النص تسع مرات -وهي صوت مهموس- للإيحاء بالتلطف بالمصاب في لين حتى يعفو من دون إجبار، من أجل ذلك كثر صوت الفاء بكثرة على ذلك الهمس يدخل في قلب المصاب ويلينها فيعفو عن القاتل أو يأخذ الدية وهذا اتحد الصوت والمعنى في إغراء الإنسان إلى العفو والتسامح.

كما نلمس هذه الظاهرة أيضا في قوله: "من عفا عن ظلمه وأعطى من حرمه ووصل من قطعه ومن أحب أن ينسأ له في عمره ويزاد له في رزقه فليتق الله ربه وليصل رحمه" فقد كثر صوت الهاء للدلالة على صعوبة الموقف وعظم أجر من تمسك بالعفو والتسامح في مثل ذلك، كما يوحي تكرار صوت الهاء إلى الرفق بصاحب المواقف المذكورة حتى لا يظن أن المتكلم لا يعرف صعوبة موقفه، ولا يرثي لحاله، فتكرار الهاء المهموسة في الضمائر المذكورة تكون تنفيسا للكرب الذي ينطويه صاحب الموقف، فكأنه يتنفس معها جلاء للهموم والكروب ليصل إلى موقف العفو الشامل والسمح، فاتفق المعنى والصوت في تنفيس حزن المحزون وحضه على العفو والتسامح.

كما لاحظ الباحثان تكرار الحروف في النص السابق ذكرا، فقد كثر حرف: "من" خمس مرات في قوله: "من عفا" "من ظلم" "من حرم" "من قطع" "من أحب"

وهذا التكرار يوجي إيقاعا موسيقيا آخر محببا إلى القلوب من خلال تكراره المتقارب للإيحاء لأن النفس البشرية تعزز الأمور المذكورة فيطرب هذا التكرار الإنسان ويسهل عليه معانقتها ويقبل العفو والتسامح حتى تكون له سجية سهلة التناول.

وتارة يكرر الكلمات لتحقيق قيمة فنية، ومن ذلك قوله: "إن الله يحب سمح البيع سمح الشراء سمح القضاء" كرر هنا كلمة "سمح" في حيث لو استخدم الحرف العاطف لوصلت الرسالة، أما من أجل تلك القيمة الجمالية من تكرار لفظة بعينها كرر اللفظة ثلاث مرات ليوجي بأهمية السماح في كل موقف منها ورسم خطة للبيع الناجح بذلك، فبدأ بسمح البيع لأن البائع أصلا يكون قبل المشتري فعليه بالسماح حتى يأتي إليه المشتري وإلا يذهب إلى مكان آخر، والمشتري عليه بالسماح في الأخذ وفي دفع المقابل إن كان التبادل نقدا، وإلا عليه بسمح قضاء الدين حتى لا يخلق العداوة والشحناء بينه وبين البائع. وبالجملة فالعفو والصفح والتسامح مطلوبة في كل شيء في الحياة البشرية خاصة الإنسان المسلم لأن هذا هو دينه ودينه.

ولا تخفى لمن له أدنى اهتمام بالسيرة النبوية تلك النماذج الحية من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم التي تؤكد لنا أن ما تدعو إليه النصوص السابقة هو ما عاش عليه الرسول (عليه الصلاة والسلام) عليه وطبقه في حياته، فكان هذا جانبا تطبيقيا لدعوة الناس إلى العفو والتسامح.

ويكفي نموذجا لتلك المواقف من الرسول عليه الصلاة والسلام خاصة في العفو عند المقدرة ما وقع في يوم فتح مكة عندما مكّنه الله في مكة وأهلها، فلو أمر بقتلهم لقتلوا عن آخرهم، ولو أمر بسبيهم لكانوا عبيدا، وقد استحقوا ذلك لأنهم قلوبهم وأذوه ظلما وعدوانا، وأخرجوه وحاربوه وأذوا من معه عتوا وطغيانا، لكنه لما وقفوا أمامه أذلة صاغرين قابلهم بالعفو والصفح والتسامح قائلا: "أذهبوا فأنتم الطلقاء"<sup>(٣٠)</sup>. ولهذا قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: "لم يكن رسول الله فاحشا ولا متفحشا ولا يجزئ بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح"<sup>(٣١)</sup> كما أنه عليه الصلاة والسلام لم يؤخذ لبيد ابن الأعصم عندما سحره بل عفا عنه فقط<sup>(٣٢)</sup> كما عفا عن اليهودية التي

سمته في الشاة<sup>(٣٣)</sup>. وفي يوم أحد لما شُج رأسه عليه الصلاة والسلام وكُسرت رباعيته جاءه ملك يستأذنه في إهلاك القوم لكنه عفا عنهم وسامح لهم وقال: "اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون"<sup>(٣٤)</sup> وهكذا عند مقتل حمزة رضي الله عنه حزن عليه الصلاة والسلام حزنا شديدا لما رأى من أنهم مثلوا به وواعد قائلا: "لئن ظفرت بقريش لأمثلن بسبعين رجلا منهم" لعظم المصيبة، لكنه أخيرا عفا عنهم وسامحهم على ذلك<sup>(٣٥)</sup>. ولما دعا أهل الطائف إلى الإسلام أمروا برجمه وإخراجه بعد أن أحزنه ما لقيه من عبد يالين وأمثاله، فجاءه ملك الجبال يستأذنه في إهلاك القوم لكنه عفا عنهم وقال: "أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له"<sup>(٣٦)</sup> ولذلك عندما سأله صحابي عن وصية جامعة مانعة حيث قال أوصني يا رسول الله، قال له: "لا تغضب"<sup>(٣٧)</sup> فعدم العفو والتسامح هو أصل المشاكل في حياة الإنسان.

وعلى هذا سار الصحابة والتابعون تطبيعا لهذه الوصايا في حياتهم، فهانت العظائم في أعينهم، وعفوا عن ظلمهم، واحترم بعضهم البعض. فهذا سيدنا عمر بن الخطاب يقول تبليغا لما وعاه عن النبي صلى الله عليه وسلم وتحبيبا للعفو والتسامح إلى قلوب الناس: "إن أجود الناس من جاد على ما لا يرجوا ثوابه، وإن أحلم الناس من عفا بعد القدرة، وإن أبخل الناس الذي يبخل بالسلام، وإن أعجز الناس الذي يعجز في دعاء الله"<sup>(٣٨)</sup>

وهذا الإمام علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه يحكى أن جارية تصب الماء له ليتوضأ، فسقط الإبريق من يدها على وجهه فشجه، فرفع رأسه إليها، فقالت له: إن الله يقول: والكاذمين الغيظ، فقال لها: قد كظمت غيظي، قالت: والعافين عن الناس قال لها: قد عفوت عنك، قالت: والله يحب المحسنين، قال: اذهبي فأنت حرة لوجه الله.<sup>(٣٩)</sup> لهذا فمن أراد التمسك الحقيقي بالدين الإسلامي عليه بالعفو والصفح والتسامح، فالإنسان لم يُخلق في الدنيا ليعيش وحده، لذا عليه أن يتخذ نفسه مرآة الآخرين، فكلما يحبه لنفسه فليحبّه لغيره، فلن يكمل إيمان المرء حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه. وما أحسن قول بشار بن برد:

إذا كنت في كل الأمور معاتبا صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

فعل واحد أو وصل أخاك فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبه  
إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى ظمأت وأي الناس تصفو مشاريه<sup>(٤٠)</sup>

#### الخاتمة

ثبت في المقال أن التسامح ظاهرة سبق الإسلام المصطلح الحديث إليها، فمنذ خمسة عشر قرناً مضى دعا الرسول عليه الصلاة والسلام الأمة الإسلامية إلى العفو والتسامح فيما بينهم وحضهم على ذلك، وآية ذلك ما مرّ في البحث من أحاديث صحيحة تشيد بأفضلية العفو والتسامح وما أعد الله لمن قام بها من الأجر والثواب والنعيم الخالد في يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم، مما يساعد المجتمع في تكوين معايشة محترمة والتعايش السلمي. وقد تبين خلال العرض والدراسة ما تتمتع به تلك النصوص الداعية إلى التسامح من الروعة التعبيرية، والدقة التصويرية، والجمال الإيقاعي، والتنوع الأسلوبي، والجرس اللفظي التي من شأنها تنشيط القارئ وتحبيب العفو والتسامح إلى قلبه بحيث يتذوقها فيتلذذ من طعم التسامح في الدنيا والجزاء الأوفى في الآخرة. وكما ظهر جلياً أن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم كانت دروساً تطبيقية للتسامح، وعليه عاش الصحابة والتابعون وعباد الله الصالحون، لذا فعلى الأمة العودة إلى كرامتها الأولى والتمسك بالتعاليم الإسلامية القيمة الداعية إلى العفو والصفح والتسامح. والحمد لله رب العالمين.

#### الهوامش والمراجع

- ٢- الفيومي أحمد بن محمد بن علي المقرئ، المصباح المنير في غريب الشرح للرافعي، المكتبة العلمية بيروت، ج: ٢٨٨/١
- ٣- إبراهيم مصطفى والآخرين، المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية نشر دار الدعوة مادة السين، ج: ٢، ص: ٤٣١
- ٤- موقع [www.ReligiousTolerance.org](http://www.ReligiousTolerance.org) تاريخ الزيارة ٢٦/٠٧/٢٠١٤م
- ٥- موقع [www.Abouna.org](http://www.Abouna.org) تاريخ الزيارة ٢٢/٠٧/٢٠١٤م

- ٦- موقع sedty.com تاريخ الزيارة ٢٠١٤/٠٧/١٢م
- ٧- أبو حيان التوحيدي، علي بن محمد بن العباس، البصائر والذخائر، تحقيق د. وداد القاضي، نشر دار صادر - بيروت / لبنان الطبعة الرابعة، ١٤١٩هـ/٩٩٩م، ج: ٣، ص: ٤٣٥
- ٨- أبو حيان التوحيدي، الصداقة والصديق، نسخة إلكترونية مصدرها المكتبة الشاملة الإصدار الثاني.
- ٩- موقع [www.ReligiousTolerance.org](http://www.ReligiousTolerance.org) المرجع السابق
- ١٠- ابن ماجه، أبو عبد الله محمد بن القزويني، سنن ابن ماجه، باب من قتل له قتيلا، نسخة إلكترونية مصدرها المكتبة الشاملة الإصدار الثاني.
- ١١- مصنف ابن أبي شيبة، الباب الثامن، ج: ٨، نسخة إلكترونية، مصدرها: المكتبة الشاملة الإصدار الثاني، ص: ٣١٣
- ١٢- الطبراني، أبو قاسم، المعجم الكبير، نسخة إلكترونية مصدرها المكتبة الشاملة الإصدار الثالث.
- ١٣- عبد الرؤوف المناوي، فيض القدير شرح الجامع الصغير، نشر المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة الأولى، ١٣٥٦ ج: ٢، ص: ٣٨
- ١٤- الإمام مالك، الموطأ، باب الحد في الخمر، نسخة إلكترونية مصدرها المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني.
- ١٥- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، مطبعة السنة المحمدية القاهرة، ٢/٣٣٦
- ١٦- إبراهيم خليل، الدكتور، الأسلوبية ونظرية النص، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط: ١، بيروت ١٩٩٧، ص: ١١٨
- ١٧- الخطيب القزويني، المرجع السابق، ص: ٤٣١
- ١٨- القزويني، نفس المرجع، ص: ٤٣١
- ١٩- ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، دار القاموس الحديث للطباعة والنشر، بيروت، ص: ٥٧
- ٢٠- العلوي، يحيى بن حمزة، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مطبعة المقتطف، القاهرة، ١٩١٤م، ج: ٢، ص: ٣٥٦
- ٢١- البغوي، الحسين بن مسعود، الإمام، شرح السنة، نشر المكتب الإسلامي - دمشق. بيروت. ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ط: ٢، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، ج: ٤، ص: ٣٤١
- ٢٢- خليل أحمد عمارة، الدكتور، في التحليل اللغوي، مكتبة المنان، ط: ١، الزرقاء- الأردن، ١٩٨٧، ص: ٤٢-٤٣
- ٢٣- عمارة، المرجع السابق، ص: ٤٢

- ٢٤- ابن أبي الأصبغ المصري، تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر في بيان إعجاز القرآن. تحقيق حنفي محمد شرف، القاهرة ١٩٨٠، ج: ٣، ص: ٣٧٥
- ٢٥- ماهر مهدي هلال، الدكتور، جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب، دار الحرية للطباعة بغداد ١٩٨٠، ص: ٢٣٩
- ٢٦- ماهر مهدي، المرجع السابق، ص: ٢٣٩
- ٢٧- ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد، فتح الباري، دار الفكر، ج: ٨، ص: ١٨
- ٢٨- المباركفوري، أبو العلا محمد عبد الرحمن، تحفة الأحمدي بشرح جامع الترمذي، دار الكتب العلمية - بيروت، بدون تاريخ، ج: ٦، ص: ١٨٣
- ٢٩- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت - لبنان، الطبعة الثانية: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ج: ٤، ص: ٥٧
- ٣٠- النهاني، يوسف بن إسماعيل، الشيخ، الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية، تحقيق محمد عزة، المكتبة التوفيقية، بدون تاريخ، ص: ٦٠-٦٤
- ٣١- النهاني، المرجع السابق، ص: ١٨٠
- ٣٢- جلال الدين السيوطي، عبد الرحمن بن الكمال، الدرر المنثور، دار الفكر - بيروت سنة ١٩٩٣، ج: ٣، ص: ١٧٩
- ٣٣- النهاني، الأنوار المحمدية، مرجع سابق، ص: ١٨١
- ٣٤- ابن رجب الحنبلي، أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد، جامع العلوم والحكم، دار المعرفة بيروت، ط: ١، ١٤٠٨ هـ، ص: ١٤٣
- ٣٥- ابن حبان، صحيح ابن حبان، نسخة إلكترونية مصدرها: <http://www.alsunnah.com> تاريخ الزيارة ٢٣/٦/٢٠١٤م
- ٣٦- جلال الدين السيوطي، الدرر المنثور، مرجع سابق، ج: ١، ص: ٣١٨
- ٣٧- الحموي، تقي الدين أبي بكر علي بن عبد الله الأزراي، خزانة الأدب وغاية الأرب، دار ومكتبة الهلال - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، تحقيق: عصام شعيتو، ج: ١، ص: ١٨٧